

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[79] 2 - وهذا المعنى والمضمون نجده بصورة أخرى في نهج البلاغة في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حيث أوصاه الإمام أن يحذر ويتجنب من استشارة البخلاء والجبناء وأهل الحرص والطمع فقال "إِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِإِيَّائِهِ" (1). فالشخص الذي يحسن الظن بإيَّاهِ تعالى وقدرته المطلقة على الوفاء بالعهد وتأمين الرزق للعباد فإنه سوف لا يحرص أبداً على جمع الأموال والثروات. الإنسان الذي يعيش حالة التوكل على إيَّاهِ ويؤمن بألطافه وعناياته فإنه لا يخشى غيره ولا يخاف أيَّة قوة غير قوته المطلقة. والإنسان الذي يأمل دائماً برحمة إيَّاهِ تعالى ولطفه فإنه لا يجد في نفسه بخلاً إطلاقاً. أجل فإنَّ المؤمن الكامل في توحيده وإيمانه بإيَّاهِ تعالى وبأسمائه وصفاته الحسنى فإنه لا يمكن أن يتلوَّث بهذه الخصال الثلاثة القبيحة والرزيلة رغم أنها تشترك في الباطل بأصل واحد (ولهذا السبب نجد أحياناً أنها تسمَّى باسم غريزة واحدة وأحياناً أخرى بأسماء مختلفة لأنها متعدِّدة في الظاهر ولكنها متعدِّدة في الباطن). 3 - إنَّ الحرص على الدنيا وملذاتها وزخارفها بإمكانه أن يورث الإنسان التعب والشقاء ويورِّطه في السعي الدائب لتأمين رغباته الوهمية، وقد ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين أنَّه قال "الْحِرْصُ مَطِيَّةٌ التَّعَبُ" (2). 4 - وفي حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين أيضاً أنَّه قال: "الْحِرْصُ عَنَاءٌ مُؤَبَّدٌ" (3). وعندما ندرس حالات الذين يعيشون الحرص والطمع في حركة الحياة نرى مدى التعب والشقاء الذي يعيشه هؤلاء ليل نهار في سبيل جمع الأموال والزخارف الدنيوية من دون الاستفادة منها، وهذا شاهد صدق على الحديث المذكور آنفاً. 5 - الإنسان الحريص لا يجد طعم الشبع أبداً، ولهذا السبب فهو دائماً يسعى لجمع 1. نهج البلاغة، الرسالة 53. 2. غرر الحكم، ج 1، ص 820، ميزان الحكمة، ج 1، ص 586، رقم 3596. 3. غرر الحكم، ج 1، ص 586، رقم 3592.